

الأزياء التراثية البابلية الآشورية

التمظهرات الميതاجمالية الفكلورية الشعبية

تدوين الموروث الشعبي الفكلوري الكلداني السرياني الآشوري في
وثيقته البصرية

كتابة: شاكر مجيد سيفو

أستهال وتصدير:

الأزياء من العلامات السيميائية التي تتطوي على اكتشاف الجسد في المعطيات الحياتية عبر العصور متمثلة في أنساق الوحدات البنائية لها اذ تمثل داخلاً نصياً تتشارك في تجلياته إمكانات الفعل الطقوسي والشعائري في خصوبة العلامة الدالة بانفتاح دلالي أكثر على الجماليات الشكلانية وتوفر الأشارات الميثولوجية والشعبية واستدعاء علامات الطبيعة والأنثروبولوجيا مشهديتها الحية الفاعلة في المجتمع.... تشير تفاصيل الجمال الملحقة والتمظهرة في المشتركات الدلالية للأزياء، بخصائص موروثاتها الشعبية الى لمعان وتجذر مشهد الجمال في الجسد والروح معا في دمج الأسطوري والصوفي الشعبي ووظائفهما الأنطولوجية، بما تنتجه الذات المبدعة من تحولات حكمة الجمال ومنتجات الطبيعة واستحضار معادلة التشارك الروحي والنفسي وصياغة ثقافة الفكر والفن وسرديات التشكيل وتوليقاته التخيلية والشعائرية.



ممارساته الحياتية اليومية وفق نظام تمثّل بمغادرة الرعوية الساذجة وتوظيف الفضاء الثقافي - الفني الأبتكاري وذلك بإخضاع عناصر التوتر والصراع الخفي في طبقات النص الجمالي الى تفكيك بنية النسيج لتوظيف البور الحكائية التي تتوارد على السنة العامة لقد حازت توصيفات الأزياء على منتجات كل هذه العلامات النصوية التي تشاركت في رفدها، الطقوس والشعائر والأحتفاء بها، وممارسة وظائفها وتمظهرات بنياتها الشكلانية والحكاية في دوال الخصب

إن الأشتغال على ما يرشح عن سيميائية الدوال البصرية في الأزياء هي تمظهرات الخصوبة في معالمها المتشظية بجمالياتها وتؤسس لها بما يعرف بـ نص الأسكيم - وقد صارت مصادر الزيّ مستلّة من فكرة الأحتماء بالفكر العقائدي القديم الذي يوثق للرمز إغواءاته وأساطيره، منذ آدم وحواء وإقتران عريهما بأغواءات الجسد والطبيعة ومصادرهما، ومن ثم تسترهما بأوراق الشجر، ومن هنا استطاع الإنسان أن ينتج ذاكرته ويكتشف حجم اتصاله بالعالم وتكريس

التشكيلي الفلكلوري الشعبي ..تشكيلي قائم على الحدوس البصرية والرؤى التصويرية وسردياتها المتعددة والمؤتلفة في شخوصها الرمزية والواقعية وتشاكلها الجسدي والروحي وهنا نكاد نقرب من تبين " هندسة الروح الانساني حسب مقولة ستالين " ومن هنا يمكننا أن نكون أمناء مع أنفسنا وأنسانيتنا ومخلصين لأجسادنا وجمالياتها وضماننا ونقاوتها وبهذا نقرب من نيتشه : "أن نبقي دائما أمناء على الأرض .. وهكذا ظلّ أجدادنا وآباؤنا أمناء على الأرض والتراث والفن والفلكلور والحرف ..يعتمد التشكيل النصي لأعمال الفلكلور على المزوجة بين تقنيات المتن الجمالي وترشحات ورواسب البيئة الغنية بالرموز السعيدة وبين الإنسان وتمسكه بالنفس والجسد والأرض بين هذا الثالوث المقدساتي تزخر وتزدهر الرؤى الحاملة بالجمال ومنها جماليات الأزياء وتبني من دواخلها منظومة الرؤى البصرية ووثيقتها التاريخانية في درس سمولوجيا الفن وشفرات الأيقنة وأنشطار الوحدات الجمالية الى كتل صورية تتنوع وتثري بمنظومة من العلامات السيميائية وبهذا نتحقق بلاغة الصورة

والحكمة وصور الحياة الأشراقية تتزع فيوضات الخصب والطقوس السحرية والجمالية التراثية في الأزياء الشعبية البابلية الأشورية في تماهياها مع الطبيعة ورموزها التي تتوفر على التجدد والخصب والجمال واقترانها بأنظمة العلامة والأشارة وتحولات الزمان واستعراض احتفالية المكان، وبخاصة في - نينوى وبابل - كل هذه الحمولة الطقسية كانت وراء تحفقات الخصب الشكلائي والسحري الجمالي في ثراء جماليات هذه الأزياء الشعبية

تتمظهر جماليات الفلكلور الشعبي القديم لوادي الرافدين في مشهده التشكيلي الحضاري البابلي الأشوري في البنى التشكيلية المتشعبة المعقودة الى التراث الشعبي ويرشح هذا الأشتغال استنادا الى الحفريات التاريخية الرافدينية والبيئة السومرية والأكدية والبابلية الأشورية فالزي أو الأسكيم بحسب اللفظة السريانية

وثيقة نصية تشجيرية قديمة قدم الحرف وهندسات الحروف وتقنيات الكتابة والتشجير قائم على منظومة الرموز والأرموزات المتشظية والمنبثة في روح الجسد الأسكيمي وعلى سطح اللوحة او الصورة او العمل

عليه الكاتبة المؤلفة جاندارك: يقول المترجم بخصوص الكتاب: ‘أزياؤنا التراثية.... بابلية اشورية، كتاب دقيق في معلوماته التي جمعتها الكاتبة بمثابرة وشغف لتسلط الضوء على جزء مهم من تراثنا وتاريخنا الذي يتواصل مع الحضارة الآشورية البابلية.... تعدت ترجمتي للكتاب حدود اللغة ومفرداتها فأخذي هذا العمل الفني والغزير الى قرى ومدن عريقة وأصيلة، تعرفت فيها على فن راق تجسد في خياطة وتطريز وتصميم ملابس وحلي. ارتدتها بالأمس جدتي، واليوم والدتي.... لتمسي بذلك تراثاً افتخر به مع

والملمس في منظومة الدلالات والمعاني الحاملة للرموز وبنائها الأشارية في التواصل الحركي والأشاري والأيمائي واستتطاق عناصرها التكوينية.

الوثائق البصرية وملحقاتها :

من هذا التصدير القرائي الجامع وددت أن أدخل الى استعراض كتاب - أزياؤنا التراثية.... بابلية اشورية - تأليف الكاتبة: جاندارك هوزايا، ومشاركة المترجم: أمجد حنا الذي ترجم الكتاب الى اللغة الأنكليزية مما أضفى عليه صفة العالمية، وهذا امتياز جمالي وانساني للموضوع الرئيسي الذي اشتغلت



أبناء جلدي ... أما الكاتبة جاندارك هوزايا فتقول في كلمتها في استهلال عناصر الكتاب: "الكتاب يتضمن ثلاثة مواد رئيسية: مدخل للأزياء، وهو تاريخي ومقارنة مع ما موجود في قرى وقصبات شعبنا، والثاني عرض للأزياء حسب المناطق، والثالث جدول وصور للأكسسوارات...." ومن المحتويات التي تضمنها الكتاب فقد أستهل بـ "المدخل الى الأزياء وتقدم في هذا المفصل الكاتبة: نبذة تاريخية عن الأزياء تقول وتختصر فيها مدى اهتمام وولع الشعوب في الأرض بحياتها الثقافية والفنية من أجل "تشكيل ملامح ثقافتها وتكوين حضارتها وبذلك تؤسس لمقومات هويتها، فتفخر برموزها وتحرص للحفاظ على هذا الأثر من الأندثار والأنصهار والزوال، وتعتر بعباداتها وتقاليدها مع تبني القيم العقلانية في الانفتاح على المجتمعات المتمدنة والاستفادة من التطور الحاصل في البلدان المتقدمة لبناء مستقبل آجيالها، تصون لغتها وتحافظ عليها بأستخدامها في الحياة اليومية وتطويرها بتدريسها وتعليمها للناشئين، خاصة، وأنها اللغة - وعاء أساس لكل التراث الثر، كما انها تحافظ على تراثها وفلكورها بأحيائه

خصوصاً في المناسبات الدينية والقومية، وتضيف في مفصل المدخل هذا بالتجديد والتدقيق والأشارة العميقة الى تأكيدها على أن " الأزياء الفلكورية" هي إحدى مفردات التراث، التي تميز شعباً عن آخر، فالأزياء تعكس ثقافة وتقاليد الشعوب وطبيعة البيئة الجغرافية والأخلاقية للإنسان، كما انها تلعب دوراً واضحاً نعرض فكرة عن " الأزياء البابلية الاشورية القديمة" حيث الحضارة النهرينية الممتدة الى الأعماق السحيقة للتاريخ ويشع منها ذلك السحر الشرقي الأخاد الذي لا يزال يزين المتاحف العالمية. مما حدا بالمؤرخين والباحثين والفنانين الأعتماذ في دراسة الأزياء القديمة هذه على مصادر تاريخية والمتيسرة منها كانت: (1) الألواح المنحوتة نحتاً بارزاً التي زينت اسفل الجدران للقاعات او انتشرت في الأروقة والممرات. (2) الأختام الأسطوانية، التي ضم بعضها صوراً وزخارف وتصاميم للأزياء. (3) المصادر المكتوبة وغالبيتها من الألواح أو النقوش والرسوم على الجدران والسقوف والتي استقيت منها معلومات هامة. خلصت الكاتبة الى أن المعنيين بدراسة الأزياء العراقية القديمة وجدوا خلاصتها في المادة



القماش الأصلي وهذه الطريقة معروفة في علم التفصيل - ب التخريج وهي استخدام الأشكال الهندسية المنتظمة كالدوائر والمربعات والمستطيلات متداخلة كذلك استخدام الأزهار والنجوم، تعبر الألواح والتمائيل عن أزياء منها الملوك والأمراء والضباط والجنود والخدم والحاشية والعمال والنساء والغرباء - وتسلط الكاتبة الضوء هنا على ازياء النساء حيث تقول: اتسمت ازياء النساء بطابع البساطة في التصميم ذي الأكمام والحافات المشربشة، هناك اجزاء تغطي الصدر أو العجز أو الكتف كالتشال ذي

التي صنعت منها الأزياء ونوعية المعادن والأحجار الكريمة التي كانت تزين تلك الأقمشة، وكذلك لاحظت ميل الفنانين الاشوريين الى استخدام الألوان العميقة والقوية وتبين ذلك من الملابس المزركشة والبراقة، اذ ارتبطت هذه الألوان بمعتقداتهم، وهذا تطور نوعي في الأساليب والتصاميم المستخدمة في الأزياء النهرينية هو باتجاه الواقعة في التصاميم، حيث اصبحت تواكب الزمان والمكان والوظيفة وحتى المهمة التي سيؤديها، فأمتازت ملابس العصر الاشوري الحديث بكونها مطعمة بقطع مغايرة لأرضية

وغطاء الرأس ما يكون غالباً ما يكون من كفيته تزين عادة بـ ليرات ذهبية والرقبة تجمل بليرات والمعصمين بالسوارات، وتكاد تتطابق تصاميم الأقراط اليوم، مع التي اكتشفت مع مقتنيات الملكات في بلاد النهرين، وهكذا فالزي النسوي التقليدي اليوم كثير التشابه، والأختلاف الموجود بسيط ويشمل اشكال وتصاميم الحلي والأكسوارات التي تتضمن النسوة باختيارها وتشكيلها بأضافة الفصوص والخرز الملونة فقطع الزي الأساسية متشابهة وتضاف بعض القطع لزيادة جمالية الزي وحسب المناسبة، ففي حالة غطاء الرأس مثلاً البعض يضيف قبعة أو طاسة مصنوعة من الذهب أو الفضة، وقرى أخرى تكتفي بالكفية الملونة أو البيضاء، كما أن تسمية بعض الأجزاء يختلف من مكان الى آخر باختلاف اللهجات، ومعظم الأسماء التي تطلق على اجزاء ومكونات الألبسة التراثية ومكملات الزينة والحلي لها أصولها في السريانية ولا زلت معروفة ومتداولة في لغتنا المحكية، كما لا زالت النساء ترتدي هذه الأزياء في معظم القرى الكلدواشورية - السريانية، خصوصاً في المناسبات - انتماءً واعتزازاً بهذه المادة

الشراشيب وكذلك لباس الرأس، وكانت الأزياء تختلف من طبقة أو شريحة لأخرى وتورد الكاتبة أمثلة على هذه الأزياء ومنها ما كانت ترتديه الملكة "اشور شرآت" زوجة الملك اشور بانيبال، وتقدم لنا تفاصيل دقيقة مستقاة من شروحاتها السابقة، وتضيف في معرض حديثها هنا شارحة ازياء الخادومات والفتيات، وتؤكد الكاتبة هنا " هذا ولا يزال تأثير الأزياء البابلية الاشورية القديمة ظاهراً في الألبسة التقليدية في عموم العراق وخصوصاً في القرى والقصبات الكلدواشورية السريانية، ففي عموم مدننا في سهل نينوى بدءاً بـ تلكيف وصولاً الى ألقوش وايضاً بخديدا وكرمليس وبرطلي وبعشيقه وبحزاني وعين سفني/ مروراً بعنكاوا وشقلاوا وأرموطا وغيرها، في عموم هذه المدن والقرى لا زالت النساء ترتدي ثوباً طويلاً له أكمام وفوقه ثوب اخر مفتوح من الأمام، وأحياناً مفتوح الجانبين، وتتحزم بكمراً أو حزام غالباً ما يكون عريضاً ومنسوجاً من الحرير أو الأبرسيم ومطرزاً بنقوش مختلفة الألوان والأشكال، ثم الشال المطرز باشكال وألوان مختلفة ايضاً والمنسوجة بعناية من الصوف أو الأبرسيم،

وتعني الحرية، والنجمة الرباعية المحيطة بالدائرة ترمز الى الأنفتاح الى الجهات الأربع من المعمورة والمعروفة انذاك حيث كان الآشوريون يتعاطون مع الشعوب القريبة والبعيدة سواء كان هذا التعاطي حضارياً وثقافياً أو تجارياً وعسكرياً، أما الأشعة المنطلقة من المركز الى الجهات الأربع فهي ترمز حسب ألوانها، الأحمر الى الوقار والارادة المستقلة والأبيض في الوسط الى الصفاء والنقاء والأزرق يرمز الى الثقافة والتمدن، ومن الجدير بالذكر أن هذا الشعار مجسداً في أزياء أصبح معتاداً في حضوره المناسبات القومية والوطنية. ثم تدخل الكاتبة الى كل قرية ومدينة، لتتهدى منها وتشرح كل ما يتعلق بأزيائها التراثية، إن هذا الكتاب بمادته الغنية جداً وجماليات اشتغاله الفني هو وثيقة مهمة للدارسين والمعنيين بشؤون الموروث الشعبي القديم والجديد.

التراثية التي ورثها شعبنا عن اجداده، ولأهمية دراستها اهتمت مؤسساتنا القومية بها - وفي الفصل الأخير من الكتاب تقدم الكاتبة نبذة عن قرى وقصبات مختارة لشعبنا، وعرضا لأزيائها التراثية بتفاصيل دقيقة ولذيذة ومهمة وتحليلية لأسم كل قرية ومدينة، وأصولها وجذورها القديمة، اسماً ودلالة وموقعاً جغرافياً وتاريخياً وأزياء أهلها، وقد أولت الكاتبة شرحاً تفصيلياً للفقرة الاولى من الفصل الأخير من الكتاب وهو - العلم - وبالسريرية - آثا - حيث تؤكد هنا أن هذا الزي مستوحى من الشعار البابلي الاشوري المعروف الذي يمتد الى الاف السنين، حيث أن هذا الشعار (آثار العلم) موجود في اللوحات الأثرية وخاصة المسلات المنتشرة في متاحف العالم، أرضية الشعار البيضاء اللون ترمز الى السلام والصفاء، الدائرة الوسطية الصفراء ترمز الى الشمس

